المسار الدبلوماسي لمفاوضات الاستقلال بين الجزائر وفرنسا (1960 – 1962).

أولا- مرحلة المفاوضات الغير الرسمية:

لقد سبقت المفاوضات الرسمية سلسة من المفاوضات السرية بين الطرفين الجزائري ممثلا في قيادة جبهة التحرير الوطني، وممثلي الحكومة الفرنسية، وكان ذلك خلال الفترة الممتدة ما بين شهري أفريل وأكتوبر من سنة 1956م، حيث جرت عدة لقاءات مع مبعوثي الرئيس الفرنسي "منديس فرانس" ، ورئيس الحكومة الفرنسية "غي مولي" ، مع قادة الثورة التحريرية الجزائرية، منها لقاء القاهرة ولقاء العاصمة اليوغوسلافية بلغراد والعاصمة الإيطالية روما، بالإضافة إلى الوساطة التي قامت بها القيادتين المغربية والتونسية في الدعوة إلى مؤتمر لكن ألغي بسبب اختطاف الطائرة التي كانت تقل الزعماء الجزائريين الخمسة بتاريخ 22 أكتوبر 1956م.

وقد كللت كل الاتصالات الأولية بين ممثلي السلطة الاستعمارية الفرنسية وقادة الثورة التحريرية الجزائرية بالفشل، نظرا إلى حادثة قرصنة طائرة زعماء الثورة الجزائرية، بالإضافة إلى تمسك ممثلي الطرف الفرنسي بشرط وقف إطلاق النار وتسليم السلاح دون شروط مسبقة، وبفكرة الاستقلال الذاتي في إطار التبعية لفرنسا، وعدم الاعتراف بجبهة التحرير الوطني كممثل شرعي ووحيد للثورة التحريرية الجزائرية، ولكن قيادة الثورة التحريرية رفضت كل هذه المناورات، وأكدت على شرط الاعتراف بالاستقلال التام ووحدة الجزائر أرضا وشعبا والاعتراف بجبهة التحرير الوطني كممثل شرعي ووحيد للثورة الجزائرية، كما طلبت من الوفد الفرنسي بوقف كل الاتصالات المضللة للرأي العام داخل فرنسا وخارجها.

وبعد وصول الجنرال ديغول إلى الحكم على رأس الجمهورية الخامسة في 01 جوان 1958م، واصل تشديد السياسة الاستعمارية القائمة على ضرب الثورة من الداخل وتشتيت صفوفها، من خلال برنامج شال الجهنمي، وكذلك مشروع قسطينة الإغرائي، ولكن بعد سلسلة الزيارات التي قادها إلى عدة مدن في الجزائر، تأكد الجنرال ديغول بأن فرنسا تضيع الرجال والمال سدى في محاولة فرض الجزائر فرنسية، وأن السلم لن يأتي إلا بمبادرات سياسية تجاه الثورة، وعلى فرنسا أن تفعل ذلك، ومن أهم ما ورد في مذكراته "الأمل": (إن الاتصال المباشر مع الناس في مواطن نشاطهم قد وضع في ذهني معطيات ما كانت جميع التقارير لتستطيع تبيانها، لقد تأكدت الآن أن الثورة قادرة وستبقى قادرة إلى ما لا نهاية بمساعدة السكان...).

ثانيا- مرحلة المفاوضات الرسمية:

1- محادثات مولان جوان 1960: كانت الدعوة الرسمية من قبل الجانب الفرنسي وقد ردت الحكومة المؤقته للجمهورية الجزائرية على هذه الدعوة بالموافقة وأوكلت السيدين محمد الصديق بن يحي ، وأحمد بومنجل لإجراء المحادثات في يوم 25 جوان 1960 بمدينة مولان الفرنسية والتي إستمرت فيها

المحادثات إلى غاية 29 جوان، ولكن هذه المحادثات باءت بالفشل نظرا لتمسك الطرف الفرنسي بنفس الشروط السابقة، ويتقدمها وقف إطلاق النار لبدأ المحادثات رسمية ، ولقد عبر رئيس الحكومة المؤقتة آنذاك السيد فرحات عباس في نداء وجهه للشعب الجزائري بتاريخ 5 جويلية 1960 بحيث شرح وجهات النظر المختلفة بين الوفدين الجزائري والفرنسي هذا الأخير المتنعت والذي أراد إملاء شروطه دون أدنى نقاش أوتفاوض.

مما كان له رد فعل شعبي تضامني مع جبهة التحرير الوطني وذلك برفض كل المشاريع الفرنسية والمناورات الهادفة إلى تقسيم أبناء الشعب الواحد، كما برهن تمسكه بقيادة جبهة التحرير الوطني كممثل شرعي ووحيد للثورة الجزائرية والشعب الجزائري، في المظاهرات التي عرفتها الكثير من المدن الجزائرية على إثر زيارة دوغول للجزائر وترويجه لمشروعه " الجزائر جزائرية " يوم 09 ديسمبر 1960 فكان الرد الشعبي مزلزلا في مظاهرات عمت مختلف المدن الجزائرية يوم 11 ديسمبر 1960م.

2-لقاء لوسارن 20 فيفري 1961: يعتبر لقاء لوسارن بسويسرا بداية اللقاءات الجدية في مفاوضات الاستقلال بين فرنسا والجزائر وكان ذلك في تاريخ 20 فيفري 1961 بوساطة سويسرة تمثلت في السيد "أوليفي لونق" وهو وزير سويسري مكلف من قبل حكومته أما الجانب الفرنسي فأوكل الرئيس الفرنسي دوغول هذه المهمة ل "جورج بومبيدو" الرجل الذي يثق فيه دوغول ، أما الوفد الجزائري فمثله الطيب بلحروف وأحمد بومنجل بحيث تناولت المحادثات النقاط التالية :

-المؤسسات المؤقته - ضمانات لتقرير المصير – مسألة الجنسية للأقلية الأوروبية -مفهوم وشكل السلطة المؤقته - ضمانات وتمثيل الأقليات.

كان الخلاف واضحا بين الوفدين خاصة فيما يتعلق بنقطة مصيرية بالنسبة للوفد الجزائري بحيث أكد رئيس الوفد الفرنسي " جورج بومبيدو :" أن مسألة الصحراء لا نقاش فيها " بحيث أضاف قائلا : "أن الصحراء بحر وله سواحل تسكنها شعوب ساحلية والجزائر واحدة من تلك الشعوب وعلى فرنسا أن تستشير الجميع " كما حرص على ضرورة أن تكون هناك هدنة تتوقف خلالها كل العمليات الحربية كما اقترح الوفد الفرنسي فكرة مشاركة كل التيارات السياسية في هذه المفاوضات، ولذلك كان الخلاف جوهريا بحيث تمسك الوفد الجزائري بوحدة الشعب ووحدة التراب ورفض مشاركة كل التيارات السياسية التي كان الهدف منها واضحا وهو تقسيم الصف الجزائري.

3- لقاء نيوشاتيل " سويسرا " مارس 1961: وتناول اللقاء عدة مسائل سياسية وعسكرية، وظل موقف الوفد الجزائري ثابتا تجاه قضية الصحراء، ووحدة التراب والشعب الجزائري.

4- مفاوضات إيفيان الأولى ماي 1961: وقد كانت هذه المفاوضات ما بين 20 ماي و13 جوان 1961م، بين الوفد الجزائري الذي ترأسه كريم بلقاسم، والوفد الفرنسي الذي ترأسه "لوي جوكس" وزير الدولة المكلف بالشؤون الجزائرية، وبالرغم من تقارب وجهات النظر بين الطرفين في الكثير من القضايا خاصة

فيما يتعلق بحق الشعب الجزائري في تقرير المصير، ومصير الأقليات الأوربية، والقضايا التقنية والتسييرية، إلا أن الوفد الفرنسي كان يرى بأن قضية الصحراء لا نقاش فيها، وهذا ما قابله الوفد الجزائري بالرفض باعتباره يخل بشرط أساسي في المفاوضات هو وحدة الشعب وسلامة التراب الجزائري.

5- لقاء بال الأول والثاني (أكتوبر- نوفمبر) 1961: جرى اللقاء في مدينة –بال – السويسرية يومي 28 - 29 أكتوبر من سنة 1961 ومثل الوفد الجزائري كل من محمد بن يحي ورضا مالك ومثل الوفد الفرنسي برونو دولوس، و كلود شابي وتناقشا الطرفان حول مجموعة من المسائل مثل الحقوق السياسية والإقتصادية للأقلية الأوروبية في الجزائر والاتفاق على تسيير المرحلة الإنتقالية، ولكن بقي مشكل الصحراء مطروحا مثل المفاوضات السابقة، وأكدت قيادة جبهة التحرير بأنه لا يمكن وقف إطلاق النار إلا بعد أن يكون اتفاق نهائي لكل المسائل السياسية والعسكرية.

6- محادثات لي روس 19/11 فيفري 1962: قبل الفرنسيون بأن لا يكون هناك وقف لإطلاق النار إلا بعد أن يكون هناك اتفاق نهائي لكل المسائل السياسية والعسكرية، ويعتبر المجلس الوطني للثورة الجزائرية هو المؤهل الوحيد لإعلان وقف إطلاق النار، وهكذا وصل الوفدان الفرنسي والجزائري إلى لي روس في 11 فيفري برئاسة كل من لويس جوكس على رأس الوفد الفرنسي و كريم بلقاسم على رأس الوفد الجزائري، وتمت مناقشة كامل النقاط ودافع كل وفد عن وجهة نظره وترك أمر الاتفاق النهائي على عاتق المجلس الوطني للثورة الذي اجتمع في تاريخ 22 إلى غاية 27 فيفري 1962 بطرابلس وتم التصويت على مشروع إتفاقيات إيفيان الذي حصل إجماع على نقاطه، أما القيادات التاريخية الموجودة في السجون الفرنسي (بوضياف، بن بلة، آيت أحمد، خيضر، بيطاط) فوافقوا على مضمون الاتفاقيات ومنحوا وكالات خاصة لرئيس الحكومة تخول له الحق بالتصويت باسمهم.

7- مفاوضات إيفيان الثانية (7-18 مارس 1962): هي آخر مرحلة من تلك اللقاءات المتكررة والشاقة والتي لا تقل حربها واستراتيجيتها عن المعارك الحقيقية في الحرب، بحيث التقى الوفدان في تاريخ 7مارس 1962 في مدينة إيفيان على الحدود الفرنسية السويسرية، وترأس الوفد الجزائري كريم بلقاسم، أما الجانب الفرنسي فترأس الوفد لويس جوكس، ودامت المناقشات الحادة لمدة إثني عشرة يوما حتى توصل الجميع إلى صيغة نهائية للاتفاق عشية 18 مارس 1962، وفي نفس اليوم أمر رئيس الحكومة الجزائرية المؤقته " بن يوسف بن خدة " على أمواج الإذاعة التونسية وقف إطلاق النار بهذه العبارة : " باسم الحكومة المؤقته للجمهورية الجزائرية وبتفويض من المجلس الوطني للثورة الجزائرية أعلن وقف إطلاق النار في كافة أنحاء التراب الجزائري ابتداء من 19 مارس 1962 على الساعة الثانية عشر، آمر بإسم الحكومة المؤقته للجمهورية الجزائرية آمر كل قوات جيش التحرير الوطني المكافحة بوقف العمليات العسكرية والاشتباكات المسلحة على مجموع التراب الوطني"

مصادرومراجع المحاضرة:

- بن يوسف بن خدة، اتفاقية إيفيان نهاية حرب التحرير في الجزائر، تر: لحسن زغدار، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1989.

- رضا مالك، الجزائر في إيفيان، دار الفرابي للنشر والتوزيع، بيروت، 2003م.

- عمار بوحوش، تاريخ الجزائر السياسي من البداية لغاية 1962، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997.

- جون وولف، الجزائر وأوربا (1500-1830)، تر: أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

- محمد دراج، الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس (1515-1543)، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012.

- عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1980.

- نصر الدين سعيدوني، الجزائر في التاريخ العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.

- أبو القاسم سعد الله، أضواء تاريخية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2005.

- فرناند بروديل، البحر المتوسط المجال والتاريخ، تر: عمر سالم، منشورات وزارة الثقافة تونس، 1990.

-أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا (1492- 1792)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1965.

- محمد العربي الزبيري، مدخل إلى تاريخ الجزائر الحديث، ج01، الجزائر، 1985.

- عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، مكتبة الحياة، بيروت، 1980.

- أمين محرز، الجزائر في عهد الأغوات (1659-1671)، دار البصائر للنش ر والتوزيع، الجزائر، 2011.